

السدر

فِي حَيَاةِ الْفَرْدِ وَالْأُمَّةِ

مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

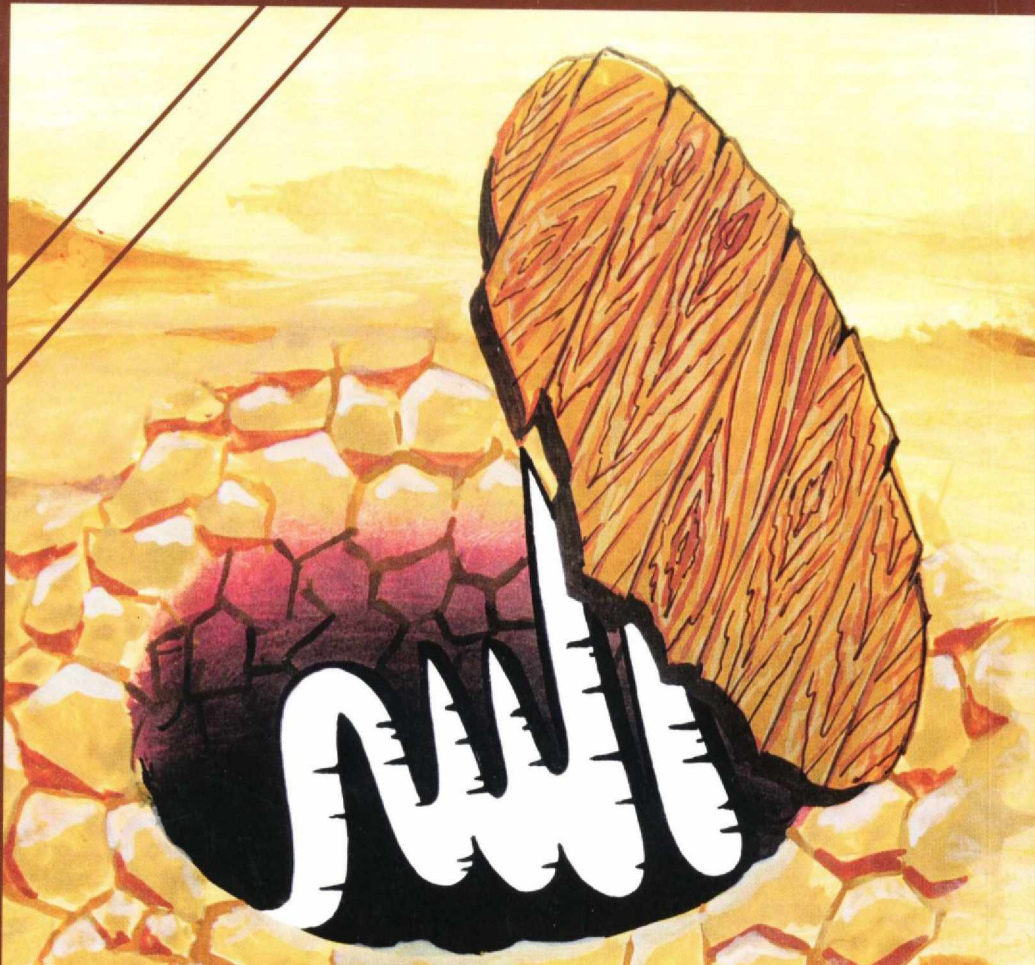
جمعها ورتبها

أحمد بن محمد بن إبراهيم الديب

إمام وخطيب مسجد أبي بكر الصديق بجدة



www.ahmedib.com



في حياة الفرد والامة
من الكتاب السنة

جمع وترتيب
راجي عفوريه المجيب

أحمد بن محمود بن أحمد بن أبي
البركات

السر

في حياة الفرد والأمة من الكتاب والسنة

جمع وترتيب
راجي عفو ربه المجيب

أحمد بن محمود الديب

إمام وخطيب مسجد أبو بكر الصديق بجدة
مشرف القرآن الكريم والتربية الإسلامية
بمدارس دار الذكر - جدة

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى

رقم الإيداع :
الترقيم الدولي :



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

مُتَلَمَّتَا

إن الحمد لله نحمدهُ ونستعينه ونستغفره ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾

[الأحزاب: ٧١]. أما بعد ...

فإن السر له دور هام وخطير في حياة الفرد والأمة،
ومن يُطالع كتاب الله عز وجل، وسنة النبي الأمين
محمد صلى الله عليه وسلم بتدبر وتأمل وعناية يعلم أن
الدين الإسلامي عني بما يدور في حياة الفرد والأمة
عناية فائقة من كتم السر، وإفشاء السر، وأنه دين
عظيم ينير العقول بالحجة الدامغة، ويهذب النفوس
بالحكمة البالغة، وأن من صفات المسلم الحق: أنه
حافظ للسر، لا يفشي لأحد سرًا ائتمنه عليه؛ لأنه يعلم
أن إفشاء الأسرار خلُق الفجار، وأن من أشر الناس عند
الله تعالى منزلة يوم القيامة من لا يحفظ الأسرار ومن
لا تحفظ الأسرار.

قال الشاعر:

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ ** *

وَلَا مَ عَلَيْهِ غَيْرَهُ فَهُوَ أَحْمَقُ

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنِ سِرِّ نَفْسِهِ ** *

فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ

ولا ريب أن سوء الأخلاق في عدم حفظ الأسرار ينشأ
عن فساد في العقيدة، وعن اتباع للشهوات والشبهات،



وتأثر بالغ بأفكار وافدة منحرفة.

فعلى كل من أسلم لله عز وجل أن يتقي الله عز وجل في قوله وأن يحفظ سره وسر أهله وإخوانه ودولته، ويعلم أن إفشاء الأسرار لمن أسوأ العادات التي ابتليت بها كثير من المجتمعات التي انحرفت عن تعاليم الإسلام، ويعلم أن الله عز وجل قال: ﴿ **وَأِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾ [طه:٧].

فإن علم الله قد أحاط بكل شيء، فلا تغيب عليه غائبة في الأرض ولا في السماء، بل إن علمه سبحانه وتعالى يُحيط بالسر، وما هو أخفى من السر نفسه، والقرآن الكريم يُعنى بتقرير هذه الحقيقة في ضمير المسلم؛ لأن استقرارها فيه ينشئ له إدراكًا صحيحًا لأمر حياته، ولمهمته التي خلق من أجلها، وعندئذ تجد المسلم يتقي ربه في نيته وهاجسه وخاطره ويخشاه في حركاته وسكناته لأنه يعلم أنه يتعامل مع الله عز وجل الذي يعلم السر والجهر، بل يعلم السر وما هو أخفى من السر.

فعلى المسلم أن يمسك عن فضول الكلام حتى لا يُعرض نفسه للوقوع في إفشاء الأسرار وهذا وارد في الكتاب الكريم والسنة المطهرة وأقوال سلف الأمة عملاً بقول الله عز وجل: ﴿ **لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِذْ مِنْ أَمْرٍ بِصِدْقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا** ﴾ [النساء: ١١٤]، ولقوله **صلى الله عليه وسلم** لعقبة بن عامر **ﷺ**: « **أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ** .» (١).

ولأهمية السر في حياة الفرد والأمة، ولأنه ليس كل ما يعلمُ يقال، فهناك أمور تقتضي أن تبقى في طي

(١) حديث حسن رواه الترمذي عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال: قلت يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**» (٦٠٥/٤) ، ورواه أحمد في مسنده (٢٥٩/٥) والطبراني في الكبير (١٧٠/١٠) بلفظ «**أملك عليك لسانك**» وعند الطبراني في الكبير (٢٧١/١٧) بلفظ «**احفظ لسانك**» وهذا جعل الربيع بن خيثم إذا أصبح أعد قلمًا ودواة وقرطاسًا ليكتب كل كلمة يقولها حتى إذا أمسى حاسب نفسه.



الكتمان، وبخاصة إذا كانت متعلقة بالمروعة والشرف والغيرة على الحياة الزوجية، أو كانت متعلقة بأسرار العمل الصناعية والتجارية، والمخترعات العلمية، أو بالأسرار العسكرية للدولة المسلمة، فسوف نتعرف من خلال السطور القادمة على ما يتعلق بالسر، لا أقصد ما يسمى بسر النجاح أو الكتاب المنتشر الذي يتحدث عن السر الذي هو قانون الجذب أو الجاذبية^(١)؛ فكتاب

(١) كتاب السر وقانون الجذب : كتاب وهم وخرافة ؛ فلو كان قانون الجذب يعمل عمله ((أن كل ما تريده سوف تحققه)) لربح جميع اللاعبين ولنجح جميع الطلاب ولشفي جميع المرضى ، إذا كان كل ما يتطلبه الأمر هو الرغبة الصادقة والتفكير الإيجابي والتخيل العميق !! . فهل سر قانو الجذب شفى كل مريض ؟ وهل مكن كل راغب في سيارة جديدة من الحصول عليها ؟ لماذا لا يشفى الأطفال من الأمراض بفضل رغبة أهليهم ؟ ، ومع اعتراضى على هذا الكتاب فلست ضد الاستفادة من معارف الغرب في الصناعات والطب والعلوم التجريبية وغيرها من العلوم النافعة للبشرية ؛ بل علينا أن نستفيد منها ونأخذ بأسباب القوة والتقدم ، ولكنى أرفض هذه التبعية ، وأرفض كل ما يمس شريعة الإسلام التي جاءت خاتمة ومهيمنة على جميع الشرائع السابقة قال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ المائدة: ٣ .

=

السرف المزعوم يتحدث عن السرف في جلب الثروة التي تريد تحقيقها ، وهذا السرف يقول إنك أنت من تختار شخصيتك وعيوبك ومميزاتك وأحداث حياتك أيضا . (!!!) وهذا الكتاب حقق مبيعات هائلة بلغت ملايين النسخ، وتصدر قوائم الكتب الأفضل مبيعاً في المجتمعات الغربية ؛ ولكنه كتاب وهم ودجل وخرافة، يراد تمريرها عبر بهرجة لفظية، وزخرفة كلامية، ودعاوى فارغة، فمن قرأه يعيش في الوهم ويذهب

قال ابن كثير - رحمه الله -: "هذه أكبر نعم الله - تعالى - على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم - صلوات الله وسلامه عليه - ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرّمه، ولا دين إلا ما شرّعه، وكلّ شيء أخبر به فهو حقّ وصدق لا كذب فيه ولا خُلف، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ أي: صدقاً في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلمّا أكمل لهم الدين تمّت عليهم النعمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾؛ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنّه الدين الذي أحبّه الله ورضيّه، وبعث به أفضل الرسل الكرام، وأنزل به أشرف كتبه"



وراء الخيال ويطارد السراب، فهو فقط يرى أن تستشعر السعادة وسوف تسعد، وتفكر في الغنى وسوف تغني، وتتأمل السلطة وسوف تنالها، ويدلك بطريق الجاذبية على كل ما ترغبه في الحياة وأنت جالس في بيتك، ويضرب لك قصصا للمشاهير، فأحدهم بالجاذبية فكر في الغنى فصار من أغنياء العالم، والثاني رغب في سيارة فارهة وأعد لها موقفا عند بيته فحصل عليها، وثالث حدثته نفسه بمنصب كبير فوصل إليه، فهذا الكتاب معارض لعقيدة القضاء والقدر، وقد رد كثير من العلماء على كتاب «السر»، وأنكروا كثيرا مما ورد فيه، وألقوا ضده كتبا طبعت في الأسواق .

ولكني في هذا الكتاب أقصد السر في شريعة الإسلام فقديمًا قالوا: إن أمناء الأسرار أقل وجودًا من أمناء الأموال، وحفظ الأموال أيسر من كتمان الأسرار؛ لأن أحرار الأموال منيعة بالأبواب والأقفال، وأحرار الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق، ويشيعها كلام سابق. ومن عجائب الأمور أن الأموال كلما كثرت خزائنها

كان أوثق لها، أما الأسرار فكلما كثرت خزائنها كان أضيع لها .

وإذا كان الرجال معادن، فإن كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال ومعادنتهم؛ ولهذا وجدنا أصنافاً من الرجال يفاخرون بكتمانهم الأسرار، قال بعضهم:
ومستودعي سرّاً تضمنت سرّه... ..

فأودعته من مُستَقَرّ الحشا قبراً
ولكنني أخفيه عني كأنني... ..

من الدهر يوماً ما أحطتُ به خُبراً
وما السرُّ في قلبي كميت بحفرة... ..
لأنني أرى المدفون ينتظر النشرا

وقال المهلب:

أدنى أخلاق الشريف كتمان السر، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر إليه.

وقال بعض الحكماء لابنه:

يا بني كُن جواداً بالمال في مواضع الحق، ضنيناً بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحمد جود المرء



الإنفاق في وجوه البر، والبخل بمكتوم السر.

هدانا الله جميعا لأحسن الأخلاق، وجنبنا مساوئها.

فما هو السر؟ وما هي أنواعه؟

ولماذا إفشاء السر يكون من الآفات عند الفرد

والأمة؟

هذا، وأسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنی وصفاته

العلی أن تكون هذه السطور - بما فيها من عجز

وتقصير - سائقة على الخيرات، وأن ينفعني بها، ولكل

من قرأها، وأنا سائل أخا انتفع بشيء منه هذه السطور

أن يدعو لي ولوالدي، ومشايخي، وسائر المسلمين

أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة

والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين .

وكتبه راجي عفو ربه المجيب

(أبو أيمن)

أحمد بن محمود بن إبراهيم الديب

الأول من رجب مضر ١٤١٨ هـ

ما هو السر؟

يقال: السر في اللغة:

هو ما يُكتم كالسريرة.

وهو الذي تخفيه يقال له سر.

واصطلاحاً: هو كل ما تكتمه

وتخفيه في نفسك، أو الذي تخص به

من تثق به من دون سواه

لجلب المصلحة، أو لدفع المضرة

وجمعه: أسرار، وسرائر.

وأسرّه: أي كتّمه

وأسر إليه حديثاً أي أوصله إليه سرّاً

وساره مسارة.

وسراراً: أي ناجاه، وأعلّمه بسرّه



وتساروا: أي تبادلوا سرهم.

وساره في أذنه وتساروا: تناجوا، واستسروا.

و ضد السر: علانية، وأعلنته.

وعلنته: أظهرته.

والسُر من النبات، بضمّتين: أطراف سوقه العُلَى.

والسُرُّ: ما يُقَطع من سُرّة المولود.

والسُرّة: نقرة في وسط البطن.

والسُرِّيَّةُ: الجارية المملوكة، وجمعها: سراري.

والأسارير: هي خطوط بطن الكف والوجه والجبهة،

يقال: انبسطت أساريره.

أخي القارئ الكريم: لقد جاءت كلمة السر

ومشتقاتها في القرآن الكريم على النحو التالي:

١- أُسِرَ ٢- أُسِرَتْ ٣- أُسِرَها ٤- أُسِرُوا

٥- أُسِرُوهُ ٦- تُسِرُونَ ٧- يُسِرُونَ ٨- أُسِرُوا

٩- إِسْرَاراً ١٠- إِسْرَارُهُ ١١- السِّر ١٢- سِرَا

١٣- سِرْكُم ١٤- سِرَّهُم ١٥- السِّرَائِرُ

﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلُ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ
مُتَخَفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠]

﴿ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ
أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾ [التحریم: ٣].
﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ [نوح: ٩]
﴿ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ﴾
[يوسف: ٧٧]

﴿ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ
أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا
عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ
نَادِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٢]
﴿ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا
الْعَذَابَ ﴾ [يونس: ٥٤]
﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ
وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴾ [طه: ٦٢]

أَسْرٌ

أَسْرَتْ

أَسْرَهَا

أَسْرُوا

أَسْرُوهُ

تَسْرُونَ

يسرون

﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا
النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾

[الأنبياء: ٣]

﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا
العَذَابَ﴾ [سبأ: ٣٣].

﴿قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ
وَأَسْرُوهُ بَضَاعَةً﴾ [يوسف: ١٩].

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ﴾ [النحل: ١٩].

﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ﴾
[المتحنة: ١]

﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ﴾ [التغابن: ٤]

﴿أُولَٰئِكَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا
يُعْلِنُونَ﴾ [هود: ٥]

﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا

أَسْرُوا
إِسْرَارًا
إِسْرَارَهُمْ
سِرًّا

يُسِرُّونَ وَمَا يَعْلِنُونَ [النحل]:
[٢٣].

السِّرَّ

﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا
يَعْلِنُونَ﴾ [يس: ٧٦].

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا
بِهِ﴾ [الملك: ١٣].

سرهم

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٩].
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾
[محمد: ٢٦].

سرهم

﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ
وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ
تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزَمُوا
عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ
الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ
وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾
[البقرة: ٢٣٥].

السرائر

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾

[البقرة: ٢٧٤]

﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً﴾ [الرعد: ٢٢]

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا
يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيَنْفِقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَأْتِيَهُمْ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا
خِلَالَ﴾ [ابراهيم: ٣١].

﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا
فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا﴾

[النحل: ٧٥]

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ
تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩]

﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ

السِّرُّ وَأَخْفَى ﴿ [طه:٧]
﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿
[الفرقان: ٦].

﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي
الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرِّكُمْ وَجَهْرِكُمْ
وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿ [الأنعام: ٣].
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ
الْغُيُوبِ ﴿ [التوبة: ٧٨]

﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ
سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا
لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿ [الزخرف: ٨٠]
﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ ﴿
[الطارق: ٩]

أنواع السر

لقد قسم العلماء رحمهم الله تعالى السر في حياة المسلم إلى أنواع اخترت منها:

١- ما يكون بين المسلم وبين الله تعالى فيما يكون بالكرامة، والعمل الصالح.

٢- الذي يكون بين المسلم وبين نفسه في الرؤيا.

٣- ما يكون بين المسلم وبين أخيه في الله تعالى.

٤- ما يكون بين المسلم وبين أسرته.

٥- ما يكون بين المسلم وبين عمله ودولته، أو سر الدولة المسلمة.

وفيما يلي بيان لهذه الأنواع وتفصيلها:

ما يكون بين المسلم وبين الله تعالى



وهذا النوع من السر: هو ما يكون بين العبد وبين ربه فيما يمن به الله تعالى على عبد من عباده استخلصه لعبادته، واستعمله في طاعته، وشرفه بمحبته، وأناله من كرامته^(١)، فهذا العبد إن سأل ربه

(١) الكرامة: جائزة عقلاً، وواقعة شرعاً، وهي أمر خارق للعادة، يجريه الله تعالى على يد بعض الصالحين ممن ابتغ أمره واجتنب نهيه، وليس كل ولي تحصل له كرامة. ومن حصلت له كرامة لا يستغلها للنصب والاحتيال ولفت الأنظار. والكرامة من نفاها أو أنكرها لا يؤخذ بقوله، ولنعلم أن هناك من الناس من غالى فيها حتى أثبتوها للسحرة والمشعوذين والدجالين والمخرفين، ثم قالوا إنهم من أولياء الله تعالى الصالحين. وهم لا يصلون ولا يصومون. والذي أريد أن أصل إليه أنه لا تلازم بين الولاية وبين ظهور الأمور الخارقة للعادة. وفي هذا المعنى يحكى عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: "لو رأيتم رجلاً يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، لا تقبلوا منه دعوى الولاية حتى تعرضوا أعماله على الكتاب والسنة" أو كلام هذا معناه. يعني الإمام الشافعي رحمه الله أن ظهور الأمور الخارقة للعادة =

أعطاه، وإذا استعان به أعانه، وإذا استعاذ به أعاده،
من رماه بنقيصة حاربه الله تعالى، ومن عاداه، عاداه
الله تعالى، ومن بارزه، بارزه الله تعالى بالمحاربة،
فاستحق أن يكون من أولياء الله تعالى الذين قال فيهم عز
وجل: **﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾** [يونس: ٦٢-٦٣].

إن أولياء الله تعالى يتفاوتون في درجاتهم بحسب

ليس من مستلزمات الولاية؛ بل قد لا تظهر تلك الأمور على
أيدي كثير من أولياء الرحمن لأنها ليست من صنع الأولياء.
وإنما هي من فعل الرب تعالى الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما
يريد وقد تظهر تلك الأمور على أيدي أناس غير صالحين.
فإن من رزق الفقه في الدين يدرك تماماً أن باب الولاية أوسع
مما يظنه كثير من العوام وأشباه العوام الذين ضيقوا مفهوم
الولاية؛ بل غيروه فحصرها الولاية في بيوت معينة أو أشخاص
معينين، يتظاهرون بالدروشة، وخفة العقل، ومبادئ الجنون
أحياناً ويهزون هذيان وربما أخبروا الناس في مكان الضالة
وعن بعض الحوادث التي تقع في أماكن بعيدة عن أماكن
وجودهم بواسطة شياطينهم التي تنقل إليهم الأخبار من أماكن
بعيدة صادقة أو كاذبة هذا هو مفهوم الولاية عندهم ولا يخفى
وجه خطأ هذا المفهوم .

تقواهم وإيمانهم ، وأن ما يجريه الله تعالى على أيديهم، ويحدث لهم من كرامات هي من جنس المعجزات، غير أن المعجزة تكون مقرونة بالتحدي، كأن يقول الرسول المرسل إلى قومه بهذه المعجزة: أتصدقوني إذا فعلت كذا وكذا؟! وأما الكرامة فهي عارية عن التحدي، وسادة الأولياء هم الرسل والأنبياء الذين خصهم الله تعالى بمعجزاته الباهرة، وحجته الدامغة على عباده، ومن أعظم الكرامات أن يوفق العبد إلى طاعة الله عز وجل، واجتناب المحرمات، واتباع النبي محمد **صلى الله عليه وسلم**.

وهؤلاء الأولياء وقع لهم من الكرامات التي كانت لهم بشرى من الحياة الدنيا، ولقد وقع لمن كانوا قبلنا في الأمم السابقة، وكثير من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ولبعض من السلف الصالح، ولمن استقام على أمر الله تعالى كثير من هذه الكرامات، وهذه الكرامات معلومة ومشهورة تفوق الحصر أخبرنا بها الله تعالى ورسول الله **صلى الله عليه وسلم**.

إن الأولياء ينقسمون إلى قسمين :



١- أولفاء الرحمن الذفن ففقم الحفءف عنهم وءولى القرآن فعرفهم وهم الذفن ءولى الله أمرهم ووفقمهم وفضل علهم بالكراماء الءف من أعظم أنواعها معرفة الحق وإءباعه والاسءقامة الءف ءنءهف بالعبء إلى ءار الكرامة (الجنة) نساء الله من فضله .

٢- أولفاء الشفطان الذفن وءقوا صلءهم بالشفطان ونظموا معه حفاءهم بعء أن قءعوا صلءهم بالله أو ضعءف على الأقل إء لا فقع العبء فف ولاءة الشفطان وءزبه مع قوة صلءه بربه أءاءاً . والله المسءعان .

وكما أن أولفاء الرحمن ءءافوا ءرءاءهم عنء الله ءعالى ، كءلك فءافوا أولفاء الشفطان فف بعءهم عن الله ءعالى فالءف أءبرنا الله ءعالى به عن كراماء الأولفاء كءفر وكءفر - باسءثناء معجزاء وكراماء الأنبفاء والرسل الكرام علهم صلواء الله وسلامه - وأنا سوف أءكر بعضاً من هءه الكراماء الءف حءءء لأولفاء الله ءعالى.

كرامة الله تعالى للأولياء بالولاية

إن الله عز وجل ولي المؤمنين أي: ناصرهم ومؤيدهم ومعينهم، يخرجهم من الشبه إلى نور اليقين، ومن ظلمات الكفر والشك إلى نور الحق الجلي، ويثبتهم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا كله من الكرامة التي أكرمهم الله تعالى بها لاستقامتهم على أمره عز وجل؛ فاستحقوا ولاية الله تعالى.

وهذه الكرامة ذكرها الله تعالى إجمالاً فقال تعالى :

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

فمن ثبت أنه ولي لله تعالى، وجرى على يده كرامة من الله تعالى؛ فإنه لا يجوز أن يعبد من دون الله تعالى، ولا أن يتبرك به.



كرامة الله تعالى

للسيدة مريم عليها السلام

وفي قصة مريم عليها السلام الكثير من الكرامات التي أكرمها الله تعالى بها في الدنيا وأعدّها لها في الآخرة. حيث أسرت ما أكرمها الله تعالى به، فاستحقت الاصطفاء على نساء العالمين، قال الله تعالى عنها:

(كَلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)

[آل عمران: ٣٧].

قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره»: قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو الشعثاء وإبراهيم النخعي والضحاك وقتادة والربيع بن أنس وعطية العوفي والسدي: يعني: وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف اهـ.

وقال تعالى عن مريم عليها السلام: **(وَمَرْيَمَ ابْنَتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَتَبَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)** [التحريم: ١٢].

لقد استحققت مريم عليه السلام أن تكون مثلاً للمؤمنات في الطاعة، والصبر، والطهر، والعفاف، والصدق، والتصديق، وسلامة الإيمان، وقوة اليقين.

فهذه هي مريم عليها السلام التي نشأت في خدمة بيت المقدس. فقد نذرتها أمها لخدمة بيت الله تعالى، فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبثها نباتاً حسناً، قال الله تعالى: **﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾**

[آل عمران: ٣٦-٣٧].

وهي التي أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة ما أوتيت، واصطفها الله تعالى على نساء عالم زمانها. قال تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾**

[آل عمران: ٤٢].

لقد صدقت بكلمات ربها وكتبه، وآمنت بصحفه المنزلة، وكانت من القانتين: المواظبين على الطاعة

المؤثرين لها. إنها سيدة النساء ومن أكملهن، وحسبها أنها كانت أمًا للمسيح - عليه السلام - وأنها تحملت ما تحملت في ولادته من غير أب مما عرضها للقليل والقال!!

ومما أكرمها الله تعالى به: أن أرسل إليها رسوله جبريل عليه السلام ليبشرها بولادتها لنبي الله عيسى - عليه السلام - قال الله تعالى: **(إِذْ قَالَتِ الْمَلَايِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)** [آل عمران: ٤٥].

ومما أكرمها الله تعالى به: أن أمرها أن تهز بجذع النخلة فقط فيتساقط من هزها رطبًا جنياً وهي في حالة المخاض، ومن المعلوم أن هز النخل يكون من أعلى، وأن الرطب إذا سقط على الأرض لم يُنتفع به، ولكن الله تعالى أكرمها بكرامة الصالحين؛ فقال الله تعالى: **(وَهَزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا)** [مريم: ٢٦].

ومما أكرمها الله تعالى به: أن برأها الله تعالى من الفواحش بكلام ولدها عيسى - عليه السلام - وهو طفل في المهد، فقال عليه السلام: **(قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)** [مريم: ٣٠].

ومما أكرمها الله تعالى به أن أفرد له سورة من سور القرآن الكريم لقصة ولادتها العجيبة وسماها باسمها، ثم أمر الله تعالى نبيه محمداً **صلى الله عليه وسلم** أن يذكر ما في القرآن من قصة مريم - عليها السلام - قال الله تعالى: **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا)** [مريم: ١٦].

ولقد أخبرنا الرسول **صلى الله عليه وسلم** بما أكرم الله تعالى به مريم عليها السلام في الآخرة؛ روى الإمام أحمد من حديث **ابن عباس رضي الله عنه**، قال: **خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ خُطُوطٍ**، قال: **" تَدْرُونَ مَا هَذَا؟ "**، فقالوا: **اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ**، فقال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: **" أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ ، وَفَاطِمَةُ**

بِنْتُ مُحَمَّدٍ ، وَآسِيَّةُ بِنْتُ مُرَاحِمٍ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ " رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِينَ.))

وبعد هذه الكرامة، وهذه البراعة ظهر من يفترون على الله تعالى الكذب ويقولون: اتخذ الله تعالى ولداً ، فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: **(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) [مريم: ٨٨-٩١].**

كرامة الله تعالى للسيدة أسية امرأة فرعون

وهذه امرأة أسلمت سرًا، وكان بينها وبين ربها أسرار فكرمها الله تعالى، ورفع قدرها، وأعلى منزلتها فجعلها مثلًا للمؤمنين، فقال تعالى: **(وَضْرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) [التحریم: ١١].** أي: وضرب الله مثلًا للذين صدقوا الله ووجدوه، امرأة فرعون التي آمنت بالله ووحده، وصدقته، وصدقت رسوله موسى عليه السلام، وهي تحت عدو من أعداء الله كافر، فلم يضرها كفر زوجها؛ إذ كانت مؤمنة بالله، إذا قالت: **(رَبُّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)** فاستجاب الله لها فبنى لها بيتًا في الجنة، وقيل: كانت امرأة فرعون تعذب بالشمس، فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها، وكانت ترى بيتها في الجنة.



وقيل: كانت امرأة فرعون تسأل: من غلب؟ فيقال: غلب موسى وهارون، فتقول: آمنت برب موسى وهارون، فأرسل إليها فرعون، فقال: انظروا أعظم صخرة تجدونها، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء، فأبصرت بيتها في السماء، فمضت على قولها، فانتزع الله روحها، وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح.

فهذه هي المرأة المؤمنة التي لم يصددها طوفان الكفر، ولم تتخدع ببهرجة الحياة في قصر فرعون، ولكنها آمنت بالله تعالى سرًا، ثم تبرأت من فرعون وعمله، وتبرأت من قومها الذين يعيشون أذلاء لفرعون، فلما علم الطاغية فرعون بإيمانها عذبها ثم قتلها؛ فكانت هي تحت هذا القهر وهذا الظلم تطلب من ربها أن يبني لها بيتًا في الجنة وتقول: ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي** **عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** ﴾ فهذا الدعاء هو: استعلاء لهذه المرأة بإيمانها فكانت الكرامة من الله عز وجل لها أن رأت قصرها في الجنة، وكرامة أخرى:

ذكرت في كتاب الله تعالى بهذا الثناء العطر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكرامة أخرى أن شهد لها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بالكمال؛ ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري **رضي الله عنه** أن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمَلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَّةُ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

فالكمال ليس حكرًا على الرجال وحدهم، وإنما للنساء حظُّهنَّ من هذه الرتبة العالية، وميدان التنافس في الخيرات والتسابق إلى نيل أعلى الدرجات مفتوح أمام الجميع، فما على المرأة إلا أن تجدَّ وتجتهدَ وتجعلَ قدوتها آسيةً ومريمَ وخديجةَ وفاطمةَ وعائشةَ وغيرهنَّ من السابقاتِ الفضلياتِ فضلًا عن الاقتداء بالنبيين والصالحين.

تلك هي كرامة الصديقة الشهيدة: آسية بنت مزاحم، امرأة في مرتبة الكمال ونموذج يُحتذى للمرأة المؤمنة الصابرة.. رضي الله عنها وأرضاها.



كرامة الله تعالى
لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
المبرأة من فوق سبع سماوات

إنها الطاهرة العفيفة الشريفة، معلمة الرجال،
ومعلمة النساء، ومعلمة الأجيال، الصديقة بنت الصديق
زوجة سيد المرسلين **صلى الله عليه وسلم**، وأحب
نسائه إليه، المبرأة من فوق سبع سماوات.

صبرت مع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** على
الفقر والجوع حتى كانت تمر عليها الأيام الطويلة بل
الشهور وما يوقد في بيتها نار لخبز أو طبخ، وإنما
كانت تعيش مع رسول الله **صلى الله عليه وسلم**
على التمر والماء، كما ثبت ذلك عند البخاري ومسلم
عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كنا -
آل محمد **صلى الله عليه وسلم** - لنمكث شهرًا ما
نستوقد بنار، إن هو إلا التمر والماء»، وقالت أيضًا: «ما
شبع رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ثلاثة أيام

تباعاً، من خُبزِ بُرٍّ، حتى مضى لسبيله»^(١).

وتقول أيضاً: «وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد وإن كنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. قلت: يا خالته، فيما كان يُعيشُكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، وقالت: ما شبع - آل محمد صلى الله عليه وسلم - من طعام بر ولا خبز شعير، وكان يتلوى جوعاً ما يجد من رديء التمر ما يملأ به بطنه صلى الله عليه وسلم». فكانت خير زوجة كريمة النفس، كريمة اليد، هانت عليها الدنيا فلم تلقي لها بالاً، فكان بينها وبين الله تعالى أسرار وأسرار: في قيام الليل والصوم والصدقة وأعمال الخير والبر.

(١) سبحان الله وها نحن نأكل على شبع، وها هو الخبز بأنواعه وأشكاله ومع ذلك نسمع ونرى من يتنكرون لنعم الله تعالى، ويلقون بها في المزابل بحجة أنه طعام طبخ بالأمس فصار قديماً، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلماذا هذا الإسراف في المأكل والملبس؟ ولماذا هذا الغلو؟ نسأله تعالى أن يوزعنا شكر نعمته والعمل على طاعته.



وفي قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الكثير من العبر، فقد أكرمها الله تعالى بكرامة عظيمة حيث برأها الله من سبع سماوات وأنزل فيها قرآنًا يتلى إلى قيام الساعة وأكرمها الله تعالى بكرامات كثيرة منها:

١- تزوجها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بأمر من الله تعالى.

٢- نالت من العلم ما لم ينله أحد من النساء.

٣- أوحى الله تعالى إلى نبيه **صلى الله عليه وسلم** وهو في فراشها، وسلم عليها جبريل.

٤- برأها الله تعالى مما اتهمت به بقرآن يتلى على يوم القيامة.

٥- مات رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهو على صدرها، ودفن في بيتها.

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر من الله تعالى

هذه الكرامة التي أكرمها الله تعالى بها، أن تزوجها رسول الله **صلى الله عليه وسلم** بأمر من الله تعالى في رؤية رآها بعد وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وكان ذلك الزواج المبارك، في شهر شوال؛ فهذا شرف عظيم لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

روى البخاري ومسلم، رحمهما الله تعالى، في صحيحهما عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «**أُرِيْتُكَ فِي الْمَنَامِ ثَلَاثَ لَيَالٍ. جَاءَنِي بِكَ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ. فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ؟ فَأُكْشِفُ عَنْ وَجْهِكَ. فَإِذَا أَنْتِ هِيَ؟ فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، يُمْضِيهِ).** [وهذا لفظ مسلم].

وقال عمار بن ياسر **رضي الله عنه** عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: هي زوجته في الدنيا والآخرة.

ناليت من العلم ما لم ينله أحد من النساء

قال الله تعالى: ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. فلقد كانت رضي الله عنها من المتقين المخلصين الزاهدين، ناليت من العلم ما لم ينله أحد من النساء.

لقد كانت رضي الله عنها تتلقى العلم من رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حتى صارت مرجعاً للصحابة في الحديث والفقهاء؛ قال الزهري: لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء، لكان علم عائشة أفضل اهـ.

قال هشام بن عروة عن أبيه قال: لقد صحبت عائشة، فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية أنزلت، ولا بفريضة، ولا بسنة، ولا بشعر، ولا أروى له، ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسب، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طب، منها.

فقلت لها يا خالة: الطب من أين تعلمته؟

فقلت: كنت أمرض فينعت لي الشيء، ويمرض المريض وينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه اهـ.

روى الترمذي بإسناد صحيح، عن أبي موسى الأشعري قال: ما أشكل علينا أصحاب رسول الله **صلى الله عليه وسلم** حديث قط، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً. اهـ.

ولقد كانت رضي الله عنها ماهرة في قراءة القرآن؛ روى مسلم في صحيحه عن عائشة رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران».

وعن فضلها على سائر النساء، روى البخاري ومسلم عن أنس **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**: «وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

كان مولدها في الإسلام قبل الهجرة بثمان سنين أو

نحوها، ومات النبي **صلى الله عليه وسلم** ولها نحو ثمانية عشر عامًا، وقد حفظت عنه شيئًا كثيرًا وعاشت بعده قريبًا من خمسين سنة، فأكثر الناس الأخذ عنها، ونقلوا عنها الأحكام والآداب شيئًا كثيرًا حتى قيل إن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها رضي الله عنها.

لقد كانت من كبار المحدثين وحفاظ السنة، وقد امتازت عن غيرها من الصحابة أنها سمعت تلك الأحاديث مشافهة من النبي **صلى الله عليه وسلم**، لذلك انفردت برواية أحاديث لم يروها عنه غيرها لمكانتها عنده **صلى الله عليه وسلم**.

كما امتازت بفصاحة اللسان، وبلاغة المقال، إذا خطبت ملكت على الناس مسامعهم، وإذا تكلمت أخذت بمجامع قلوبهم، فعن الأحنف ابن قيس قال: سمعت خطبة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والخلفاء لهم جرًا إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن من في عائشة رضي الله عنها.

أوحى الله تعالى إلى نبيه وهو في فراشها وسلم عليها جبريل عليه السلام

ومن الكرامات التي أكرمها الله تعالى بها: أن أوحى الله تعالى إلى نبيه **صلى الله عليه وسلم** وهو في فراشها، وسلم عليها جبريل - عليه السلام - .

روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يوماً: **«يَا عَائِشَ، هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِنُكَ السَّلَامَ»**. **فَقُلْتُ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لَا أَرَى. تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

وفي رواية أبي داود والترمذي قالت: «وعليه السلام ورحمة الله»، وفي أخرى للنسائي قالت: «أوحى الله عز وجل إلى النبي **صلى الله عليه وسلم** وأنا معه فقامت فأجفت الباب فلما رُفِّه عنه قال: يا عائشة إن جبريل يُقرئك السلام».

(أجفت الباب): أي أغلقتَه (رفه عنه) سكن واستراح.



برأها الله تعالى من فوق سبع سماوات

وهذه كرامة أخرى أكرم الله تعالى بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها إذ برأها مما اتهمها به زعيم المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، فأُنزل فيها قرآنٌ يتلى ويُتَعَبَّدُ به إلى يوم القيامة.

وإليك أخي القارئ الكريم تفصيلاً لهذه التهمة التي تعد درساً عظيماً لكل جيل، وكرامة من كرامات الله تعالى لأم المؤمنين، وهذه التهمة تسمى بـ :

((حادثة الإفك)) :

كانت في السنة الرابعة من الهجرة المباركة، لما عاد النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة بن المصطلق، وفرح المسلمون بنصر الله تعالى، وخالصة حادثة الإفك :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة معه في غزوة بني المصطلق وهي غزوة المرَيْسِيع،

وقفل ودنا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، قامت حين آذنوا بالرحيل فمشت حتى جاوزت الجيش، فلما فرغت من شأنها أقبلت إلى الرّحل فلمست صدرها فإذا عقدٌ من جَزَع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمسته، فحبسها ابتغاؤه، فوجدته، وانصرفت فلم تجد أحداً، وكانت شابة قليلة اللحم، فرفع الرجال هودجها، ولم يشعروا بزوالها منه فلما لم تجد أحداً اضطجعت في مكانها رجاء أن تفتقد فيُرجع إليها، فنامت في الموضع ولم يوقظها إلا قول صفوان بن المُعطل: إنا لله وإنا إليه راجعون وذلك أنه كان تخلف وراء الجيش لحفظ الساقة، وقيل: إنها استيقظت لاسترجاعه، ونزل عن ناقته وتحنى عنها حتى ركبت عائشة، وأخذ يقودها حتى بلغ بها الجيش في نحر الظهرية فوق أهل الإفك في مقاتلهم، وكان الذي يُجتمع إليه فيه ويستوشيه ويُشعلُه عبد الله بن أبي بن سلول المنافق، وهو الذي رأى صفوان أخذاً بزمام ناقة عائشة فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل.

وهذه الحادثة ذكرت في كتب السنة اخترت ما جاء في صحيح البخاري حيث نُقِصُ فيه أم المؤمنين عائشة

رضي الله عنها ما حدث لها في حادثة الإفك لحظة بلحظة. فلنستمع إليها وهي تعيش هذه المحنة وهذه الفتنة.

روى البخاري في صحيحه برقم (٤٠٥٢) قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي **صلى الله عليه وسلم** حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يُصدِّق بعضاً، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، قالوا:

«قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ ، فَأَفْرَعُ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا ،

فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي ، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أَنْزَلَ الْحِجَابُ ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأَنْزَلُ فِيهِ ، حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَذِنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ ، فَقُمْتُ حِينَ آدُنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي ، فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ ، فَرَجَعْتُ ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي ، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ ، وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُهْبَلْنَ (يُهْبَلْنَ) وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ ، فَبِعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا ، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذُّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ ، فَادَّلَجَ

فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي ، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ ، فَأَتَانِي ،
فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَى ، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ
الْحِجَابُ عَلَيَّ ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي ،
فَحَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي ، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا
سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ،
فَوَطِئْتُ عَلَى يَدَيْهَا ، فَرَكِبْتُهَا ، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ
حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوْعِرِينَ فِي نَحْرِ
الظَّهْرَةِ ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى
كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ
فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي
قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيْبُنِي
فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي ، إِنَّمَا
يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسَلُّمُ ثُمَّ يَقُولُ
: «كَيْفَ تَيْكُمُ» ؟ فَذَلِكَ يَرِيْبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ ، حَتَّى
خَرَجْتُ بَعْدَ مَا نَقَهْتُ ، وَخَرَجْتُ مَعِي أُمَّ مِسْطَحٍ قَبْلَ
الْمَنَاصِعِ - وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا - وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ ،
وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا ، وَأَمَرْنَا أُمَّ
الْعَرَبِ الْأُولَى فِي التَّنَزُّهِ ، وَكُنَّا نَتَأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا

عِنْدَ بِيوتِنَا ، فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ - وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهِمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ ، خَالَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ - فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهِمِ قَبْلَ بَيْتِي حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَانِنَا ، فَعَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا فَقَالَتْ : تَعَسَ مِسْطَحٌ . فَقُلْتُ لَهَا : بِنْسَ مَا قُلْتَ! أَتَسْبِيَنَّ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟ قَالَتْ : أَيُّ هِنْتَاهُ أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ : وَمَاذَا؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ ؛ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : **«كَيْفَ تَيْكُمُ؟»** قُلْتُ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ وَأَنَا حِينِنْدُ أُرِيدُ أَنْ أَتَيِّقَنَّ الْخَبَرَ مِنْ قَبْلِهِمَا ، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ ، فَقُلْتُ لِأُمِّي : يَا أُمَّتَاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّةُ ، هَوْنِي عَلَيْكَ ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا . فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ! وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقًا لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي ، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ
يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ ، فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ
عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ
بِرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ ، فَقَالَ
: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا . وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا
كَثِيرٌ ، وَإِنْ تَسَأَلَ الْجَارِيَةَ تَصَدَّقَكَ . قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ ، فَقَالَ : «أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ
رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ مِنْ عَائِشَةَ» ؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ :
وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ
عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ ، تَنَامُ عَنْ
عَجِينَ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ .
فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ ،
فَاسْتَعْدَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ ، فَقَالَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ - : «يَا مَعْشَرَ
الْمُسْلِمِينَ ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ
بَيْتِي؟ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا
رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي
إِلَّا مَعِي» . فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ فَقَالَ : أَنَا

أَعَذْرِكَ مِنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبِنَا
عُنُقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ
. فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَ رَجُلًا
صَالِحًا ، وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ :
كَذَبْتَ لَعْمُرُ اللَّهِ ، لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرْ عَلَى قَتْلِهِ . فَقَامَ أَسِيدُ
بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ - فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ
عُبَادَةَ : كَذَبْتَ لَعْمُرُ اللَّهِ ، لَنَقْتُلَنَّه ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ
عَنْ الْمُنَافِقِينَ . فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا
أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى
الْمَنْبَرِ ، فَلَمَّ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يُخْفِضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ ، وَبَكَيتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يِرْقًا
لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، ثُمَّ بَكَيتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يِرْقًا
لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ
كَبِدِي .

فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً
مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَذِنْتُ لَهَا ، فَجَلَسَتْ تَبْكِي ، فَبَيْنَا نَحْنُ
عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ ،
وَقَدْ لَبِثْتُ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ ، فَتَشَهَّدَ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ :
«أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ ؛ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنْ
كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتِ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ
فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ
ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» . فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً
، فَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ لِأُمِّي : أَجِيبِي عَنِّي
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي
مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ وَأَنَا
جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ ، لَا أَفْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ : إِنِّي وَاللَّهِ
لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَفَرَّ فِي نَفُوسِكُمْ ،
وَصَدَّقْتُمْ بِهِ ، فَإِنْ قُلْتُمْ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي
بَرِيئَةٌ - لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ -
وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ - لَتُصَدِّقُونِي ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَجِدُ
لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ : { **نَصَبَرُ جَمِيلٌ**
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } (يوسف ١٨) .
ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي ، وَأَنَا وَاللَّهُ حِينِنْدُ

أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ مُبْرئِي بِبِرَاعَتِي ، وَلَكِنْ -وَاللَّهِ-
مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنَزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى ، وَلَشَأْنِي
كَانَ أَحَقَّ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي بَأْمَرٍ
يُتْلَى ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا .
فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ
وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ
مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ
الْجَمَانِ مِنَ الْعَرَقِ فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي
أُنزِلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ -وَهُوَ يَضْحَكُ- فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ
:«أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكَ» . فَقَالَتْ لِي
أُمِّي : قَوْمِي إِلَيْهِ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ ، وَلَا أَحْمَدُ
إِلَّا اللَّهَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بِرَاعَتِي ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :
{ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِنْفِكِ عَصَبَةٌ مِنْكُمْ** } عَشْرَ آيَاتٍ
، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بِرَاعَتِي ، فَقَالَ أَبُو
بَكْرٍ -وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ ؛ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ - :
وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ ؛



فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { **وَلَا يَأْتِي أَوْلُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أَوْلِيَ الْقُرْبَى** } إِلَى قَوْلِهِ : { **أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ** } . فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ : لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا .
 وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ -زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ أَمْرِي :
 «مَا عَلِمْتِ» ؟ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا ، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا ، فَهَلَكَتْ فِيْمَنْ هَلَكَ .

قَالَ عُرْوَةُ : كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانٌ وَتَقُولُ : فَإِنَّهُ قَالَ :

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرِضِي لِعَرِضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
 وَقَالَتْ : وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لِيَقُولُ :
 سُبْحَانَ اللَّهِ ! فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا كَشَفْتُ مِنْ كَنْفِ
 أَنْتَى قَطُّ ، ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

معاني بعض الكلمات التي وردت في الحديث :

الغزوة التي أشارت إليها هي غزوة بني المصطلق.
وَالهُودَج : محمل له قبة تُسْتَر به النساء ، يكون
 بالنِّيبِ وَنَحْو ذلك.

جزع : خرز ، وظفار مدينة باليمن. ، **والرھط** من
 ثلاثة إلى عشرة. ، **رَحْلُوهُ عَلَى بَعِيرِي** : وضعوه.
لَمْ يُهَبَّن : لم يكثر اللحم في أبدانهم.

العققة : الذي يسد الرمق. **حديثه السن** : صغيرة ،
 وكان عمرها أشف من خمسة عشر عاماً.
وموغرين : نازلين في وقت الوغرة ، وهي شدة
 الحَرِّ لَمَّا تَكُون الشَّمْسُ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ.

وتيكم للمؤنث مثل ذاكم للمذكر.

نقھت : قمت من مرضي وما رجعت إلي تمام صحي .
قولها : هنتاه ، قال الحافظ : " أَيْ حَرْفِ نِدَاءِ لِلْبَعِيدِ وَقَدْ
 يُسْتَعْمَلُ لِلْقَرِيبِ حَيْثُ يَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الْبَعِيدِ ، وَالنُّكْتَةُ فِيهِ
 هُنَا أَنَّ أُمَّ مِسْطَحَ نَسَبَتْ عَائِشَةَ إِلَى الْعَفْلَةِ عَمَّا قِيلَ فِيهَا
 لِإِنكَارِهَا سَبَّ مِسْطَحَ فَخَاطَبَتْهَا خِطَابَ الْبَعِيدِ ، وَهَنْتَاهُ
 بِفَتْحِ الْهَاءِ وَسُكُونِ النُّونِ وَقَدْ تَفْتَحُ بَعْدَهَا مُثْنَاةٌ وَآخِرُهُ
 هَاءٌ سَاكِنَةٌ وَقَدْ تُضَمُّ ، أَيْ : هَذِهِ ، وَقِيلَ : امْرَأَةٌ ، وَقِيلَ

: بُلْهَى ؛ كَانَتْهَا نَسَبَتْهَا إِلَى قَلَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِمَكَائِدِ النَّاسِ .
وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ تَخْتَصُّ بِالنِّدَاءِ وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ نَكْرَةٍ ،
وَإِذَا خُوِطِبَ الْمَذْكَرُ قِيلَ يَا هَنَةَ . "

قول أم عائشة رضي الله عنهما **(ضرائر)** : قيل
للزوجات ذلك لأن الضرر يحصل لكل واحدة من الأخرى
بالغيرة.

وأما قول بريرة : "وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا
أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةٌ
السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ" ،
فالداجن : كل حيوان يألف البيوت ، والمراد : إذا كان
هذا حالها لا تمنع طعامها من الحيوان فهذا اقرب لأن
تكون غافلة مؤمنة لا تخطر الفاحشة على بالها .
فَاسْتَعْدَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ: طلب من ينصفه منه، والعزير
الناصر ، ومن يعذرني من ينصرني.

. هذه هي حادثة الإفك والبهتان، وها هي أم
المؤمنين الطاهرة العفيفة الشريفة تُرمى في شرفها
وهي: الصديقة بنت الصديق زوجة الصادق المصدق،
وها هو رسول الله **صلى الله عليه وسلم** يُرمى في

عرضه، وهو الطاهر القائم على الحرمات في أمته.
ولكنها حكمة الله البالغة لتعلم الأمة من وراء هذه
الحادثة، وهذه الكرامة لأمة المؤمنين أن الغيب لا يعلمه
إلا الله تعالى، وأن النبي **صلى الله عليه وسلم** لم
يكن يعلم الغيب من تلقاء نفسه إلا بوحي من الله تعالى
له.

ولتعلم الأمة أن هناك من يكيدون للإسلام والمسلمين
في كل وقت وحين يصل إلى رمي الأعراس، وذلك
لزعزعة الأمن والثقة في المجتمع الإسلامي.

ولتعلم الأمة خطر القذف، وعقوبة القاذف بجلده
ثمانين جلدة؛ لئلا تتقاذف الألسنة أعراس الناس،
وتلوكها الأفواه، وأن هذه الحدود كفارة لمن أقيمت
عليه.

ولتعلم الأمة كيف تصبر في الأزمات والمصائب كما
صبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وصبر على
ذلك رسول الله **صلى الله عليه وسلم**.

ولتتعلم الأمة درساً عظيماً في الذين يحبون أن تشيع
الفاحشة في الذين آمنوا، وأن الذين يفعلون ذلك هم



امتداد لزعيم المنافقين ابن سلول. (١).
ولتعلم الأمة أن الله تعالى يدافع عن أوليائه،
وينصرهم على أعدائه وأعدائهم، ويجعل لهم من
الكرامات التي تفوق الحصر والوصف.

وهذه هي الآيات القرآنية العظيمة التي نزلت في

(١) رغم علم النبي صلى الله عليه وسلم بالمنافقين وأسمائهم،
ورغم علمه بخطورة المنافقين الذين يحاولون بث روح
الهزيمة في صفوف المسلمين، والعمل على انقسام المسلمين،
إلا أننا لم نر النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل معهم بانغلاق
أو يرفض التعامل معهم، بل كان صلى الله عليه وسلم يخالطهم
ويتعامل معهم ويسمع منهم. ولم يلجأ النبي صلى الله عليه
وسلم رغم قدرته على ذلك إلى استخدام القوة ضدهم. كما لم
يحرّمهم النبي صلى الله عليه وسلم من أي من حقوقهم المدنية،
فكانوا يتمتعون بحقوق المواطنة كاملة مثل المسلمين، وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يسمح لهم بأن يدلوا بآرائهم في
قضايا المجتمع، وأخذ نصيبهم من عطاء بيت المال؛ لأن الأصل
أن المرء يعيش في وطنه معززا مكرما ، ولا يخرج منه إلا
بسبب يحمله على ذلك حملا ، إما طلب الرزق ، أو السعة فيه
بالتجارة أو طلب العلم ، ونحو ذلك ، وأشد ما يكون ضررا وألما
أن يخرج من وطنه جبرا وظلما .

براءة أم المؤمنين الطاهرة العفيفة الشريفة من فوق
سبع سماوات: قال الله تعالى:

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا
تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ
مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ
مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ
الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا
هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ
فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ
الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ
مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ
اللَّهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ
لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ *
يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**

[النور: ١١-١٨].



وقوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا إِذْ سَمَعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ** ﴾ عتاب لجميع المؤمنين، أي: كان ينبغي عليكم أن تتكروه، ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل، وأن تنزهوا الله تعالى عن أن يقع هذا من زوج نبيه **عليه الصلاة والسلام**، وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان، وحقيقة البهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه، والغيبة: أن يقال في الإنسان ما فيه.

وأن المرء يتعلم من أخطائه، فعائشة رضي الله عنها خرجت لقضاء حاجتها وكان الأولى أن تعلم بذلك لئلا يغادروا المكان دونها "وَقَدْ وَقَعَ لَهَا بَعْدَ ذَلِكَ فِي ضِيَاعِ الْعِقْدِ أَيْضًا أَنَّهَا أَعْلَمَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِهِ، فَأَقَامَ بِالنَّاسِ عَلَى غَيْرِ مَاءِ حَتَّى وَجَدَتْهُ، وَنَزَلَتْ آيَةُ النَّيِّمِ بِسَبَبِ ذَلِكَ، فَظَهَرَ تَفَاوُتَ حَالِ مَنْ جَرَّبَ الشَّيْءَ وَمَنْ لَمْ يُجَرِّبْهُ.

وإن براءة عائشة رضي الله عنها وبيان فضلها يقود إلى الحديث عن فضل صفوان رضي الله عنه ؛ لأن

لتهمة تعلقت بهما ، وصفوان رضي الله عنه لم يكن
 حصوراً ، فهو الذي اشتكته امرأته إلى النبي **صلى الله**
عليه وسلم ؛ لأنه يجبرها على الإفطار إذا صامت ، فلما
 سأله أخبره بأنه شاب لا يصبر، وهذا أظهر في بيان
 فضله . وقوله عندما سمع بأمر الإفك : "وَاللَّهِ مَا
 أَصَبْتُ امْرَأَةً قَطُّ حَلَالًا وَلَا حَرَامًا " لا يعارض ذلك ؛
 فهذا قبل الزواج.

ولنعلم أنه لا يمكن أن تزني زوجة نبي، وأما قول الله
 تعالى : { **فخانتاهم** } عن امرأة نوح ولوط عليهما
 السلام أي بمخالفة دينهما ، وكانت امرأة نوح تسبهه،
 وامرأة لوط تدل قومها على أضيافه، فتلك خيانتهم .
 وأما قول الله تعالى لنوح عليه السلام : { **إنه ليس من**
أهلك } أي : الناجين..

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صدرها ودفن في بيتها (١).

(١) ولعل أصدق صورة تعبر عن حقيقة الحب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم أنه حين مات، مات على صدر زوجته عائشة التي أحبها قلبه كثيرا ؛ بل وذكر ذلك لأصحابه حين سأل عن أحب الناس إليه يقول: عائشة. ففي الصحيحين عن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في سرية قبل نجد، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: "يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. قال: فمن الرجال؟ قال: أبوها".

إنه مشهد يعجز عن وصفه أي تعبير وأي كلمات: النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم تنتهي حياته حين يموت على صدر زوجته لقد اختار الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يموت ورأسه بين سحر عائشة ونحرها -رضي الله عنها- لماذا لم يموت وهو يحج؟!

لماذا لم يموت وهو يصلي؟! وهو ساجد لله عز وجل؟! قال القاضي عياض رحمه الله: "هذا لمحبتة لها [عائشة] ، وحرصه على أن يكون عندها ، حتى استأذن أزواجه في تمريره عندها ، ليكون عن طيب أنفسهن فيبلغ غرضه مع تطيبه أنفسهن ، مع التزامه ما التزمه من العدل بينهن"

مات رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وهو واضع رأسه الشريف على صدرها، ودفن في بيتها، وإن كانت هذه مصيبة كبرى، بل من أعظم المصائب على المسلمين موت رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ولكن الكرامة التي اختص الله تعالى بها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها دون سائر النساء أن مات رسول الله **صلى الله عليه وسلم** عندها.

وهذه الكرامة كانت في الأسبوع الأخير من حياة النبي **صلى الله عليه وسلم** حيث ثقل به المرض، فجعل يسأل أزواجه: «أين أنا غدًا؟ أين أنا غدًا؟» ففهم مراده، فأذن له يكون حيث شاء، فانتقل إلى عائشة رضي الله عنها، يمشي بين الفضل بن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، عاصبًا رأسه تخط قدماه في الأرض حتى دخل بيتها فقضى عندها آخر أسبوع من حياته **صلى الله عليه وسلم**.

ويوم الاحتضار قالت عائشة رضي الله عنها: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي **صلى الله عليه وسلم** ، فقال النبي **صلى الله عليه وسلم**: «مرحبًا



يا ابنتي» ثم أجلسها على يمينه، أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت، فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيتُ كالיום فرحاً أقرب من حزن، فسألتهما عما قال: فقالت: «ما كنت لأفشي سر رسول الله **صلى الله عليه وسلم**» حتى قبض النبي **صلى الله عليه وسلم** فسألتهما فقالت: أسرَّ إليَّ أن جبريل كان يُعارضني القرآن كل سنة مرة، وأنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقاً بي، فبكيت فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة! أو نساء المؤمنين. فضحكت لذلك، وكانت تقول: إن من نعم الله عليَّ أن النبي **صلى الله عليه وسلم** تُوفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله تعالى جمع بين ريقه وريقه عند موته، دخل عبد الرحمن - بن أبي بكر - وبيده السواك، وأنا مسندة رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، فرأيته ينظر إليه. وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته، فاشتد عليه، وقلت ألينه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فلينته، فأمره وفي رواية أنه استن به كأحسن ما كان مستنّاً

كان بين يديه ركوة، أو علبه فيها ماء، فجل يُدخل يده في الماء فيمسحُ بها وجهه ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات . وفرغ النبي **صلى الله عليه وسلم** من السواك حتى رفع يده أو إصبغه، وشخص بصره نحو السماء ، فأخذته بحة، وتحركت شفثاه وهو يقول: «مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي واجعني في الرفيق الأعلى ، اللهم اجعني في الرفيق الأعلى» ومالت يده **صلى الله عليه وسلم** إنا لله وإنا إليه راجعون، وصرخ صارخ، مات رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، مات حبيب الله، وخيمت السكينة على الجميع في لحظات الذهول، ثم أفاق الجميع ليجدوا أن المصيبة الكبرى قد وقعت والكارثة المروعة قد حلت، فانفلتت العواطف من هلعها، وانفتقت الأحاسيس من ذهولها، وبكى الجميع على فراق الحبيب **صلى الله عليه وسلم**.

وعند البخاري، وسنن ابن ماجه عن عائشة قالت: لما قبض رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وأبو بكر عند امرأته ابنة خارجه بالعوالي، فجعلوا يقولون: لم

يمت النبي **صلى الله عليه وسلم** إنما هو بعض ما كان يأخذه عند الوحي، فجاء أبو بكر فكشف عن وجهه وقبل بين عينيه وقال: أنت أكرم على الله من أن يميتك مرتين، قد والله مات رسول الله **صلى الله عليه وسلم** وعمر في ناحية المسجد يقول: والله ما مات رسول الله **صلى الله عليه وسلم**، ولا يموت حتى يقطع أيدي أناس من المنافقين كثير وأرجلهم، فقام أبو بكر فصعد المنبر فقال: من كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت، ومن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات **(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)** [آل عمران: ١٤٤].

قال عمر: «فلكأنني لم أقرأها إلا يومئذ» ورجع عن مقالته التي قالها، وأخر دفن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ، وذلك لثلاثة أسباب الأول: عدم اتفاقهم على موته، الثاني لأنهم لا يعلمون حيث يدفنونه، قال قوم: في البقيع، وقال آخرون: في المسجد، وقال قوم: يحبس حتى يحمل إلى أبيه إبراهيم، حتى قال العالم

الأكبر الصديق ﷺ : سمعته يقول: «ما دفن نبي إلا حيث يموت» [ذكره ابن ماجه والموطأ وغيرهما] الثالث: أنهم اشتغلوا بالخلاف الذي وقع بين المهاجرين والأنصار في البيعة، فنظروا فيها حتى استتب الأمر، وانتظم الشمل، واستوثقت الحال، واستقرت الخلافة في نصابها فبايعوا أبا بكر، ثم بايعوه من الغد بيعة أخرى على ملأ منهم ورضا، فكشف الله به الكربة من أهل الردة، وقام به الدين، والحمد لله رب العالمين، ثم رجعوا بعد ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنظروا في دفنه وغسلوه وكفنوه، وكانت الكرامة العظيمة: أن دفن صلى الله عليه وسلم في غرفة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، والله أعلم.



كرامة الله تعالى لليتيمن

وهذه كرامة أكرم الله تعالى بها رجلاً صالحاً بعد موته، حيث حفظ أبنائه الأيتام، وهذه الكرامة ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم، ولم يكن أحد من الناس يعرفها، قال تعالى في سورة الكهف: **(وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) [الكهف: ٨٢].**

فهذه كرامة من الله تعالى تلحق العبد الصالح الذي كان بينه وبين الله تعالى أسرار في أعمال الخير والبر، فحفظ أولاده من بعده؛ رحمة بهما وتكريماً لأبيهما.

ومعنى الآية: أن هذا الجدار إنما أصلحته؛ لأنه كان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان تحته كنز لهما، قال عكرمة وقتادة، وغير واحد: وكان تحته مال مدفون لهما، وهو ظاهر السياق من الآية، فهذان الغلامان

صغيران بقرينة وصفهما باليتيم، وهذا هو الظاهر.
وقد يحتمل أن يبقى عليهما اسم اليتيم بعد البلوغ إن
كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما.

وقال ابن منظور: اليتيم في الناس من قبل فقد الأب،
وفي غيرهم من الحيوان من قبل فقد الأم، وقال: أصل
اليتيم في اللغة هو الغفلة، وبه سمي اليتيم يتيماً، أي:
لأنه يتغافل عن بره بعد موت أبيه، اهـ.

وهذه الآية تشير إلى اهتمام بالقرآن الكريم بشأن
اليتيم ورعاية الله تعالى له، وكم من آية في كتاب الله
تعالى تحذر من أكل أموال اليتامى ظلماً، وكذلك أوصى
النبي **صلى الله عليه وسلم** باليتامى والإحسان
إليهم. ووعد من قام عليهم أن يكون معه في الجنة.

روى البخاري وأبو داود والترمذي عن سهل بن
سعد **رضي الله عنه** قال: قال رسول الله **صلى الله عليه وسلم**
«أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة
والوسطى.

فمن خاف على أولاده الصغار بعد موته، ورغب أن
يحفظهم الله تعالى، فغلبه بأعمال البر والخير سرّاً بينه

وبين الله عز وجل، وعليه برعاية الأيتام سرًا وجهراً، قال تعالى: **﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]** **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُونُ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُونُ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].**

أي كما تحب أن تعامل ذريتك من بعدك، فعامل الناس في ذرايرهم إذا وليتهم، ثم أعلمهم أن من أكل أموال اليتامى ظلماً فإنما يأكل في بطنه ناراً.

وجعل الرسول **صلى الله عليه وسلم** أكل أموال اليتامى من الموبقات المهلكات، ففي الصحيحين من حديث سليمان بن بلال، عن ثور بن زيد عن سالم أبي الغيث، عن أبي هريرة أن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات».

وقوله تعالى: **(وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا)** [الكهف: ٨٢].
 اختلف الناس في الكنز فقال عكرمة وقتادة: كان مالاً
 جسيماً، وهو الظاهر من اسم الكنز؛ إذ هو في اللغة:
 المال المجموع، وقال ابن عباس: كان علماً في صحف
 مدفونة، وعنه أيضاً قال: كان لوحاً من ذهب مكتوباً فيه
 بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف
 يحزن، عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب، عجبت
 لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجبت لمن يؤمن
 بالحساب كيف يغفل، عجبت لمن يؤمن بالدنيا وتقلبها
 بأهلها كيف ينطمئن لها، لا إله إلا الله محمد رسول الله ،
 وروى نحوه عن عكرمة، وعمر مولى غفرة، ورواه
 عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي **صلى الله عليه**
وسلم.

قوله تعالى: **(وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا)** [الكهف: ٨٢].
 ظاهر اللفظ والسابق منه أنه والدهما ، وقيل هو: الأب
 السابع، وقيل العاشر فحفظاً فيه وإن لم يُذكر بصراح،
 ففيه ما يدل على أن الله تعالى بحفظ الصالح في نفسه
 وفي ولده، وإن بعدوا عنه، وقد روي أن الله تعالى
 يحفظ الصالح في سبعة من ذريته وعلى هذا يدل قوله



تعالى: ﴿إِن وَّلِيَّ اللّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ
يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦].

ففة دالف على أن الرءل الصالح فحفظ فف ذرفته،
وتشمل بركة عبافته لهم فف الدنيا والآخرة بشفاعته
ففهم، ورفع درءتهم إلى أعلى درجة فف الجنة، لتقر
عفنه بهم، قال سعفد بن ءبفر عن ابن عباس حفظاً
بصلاح أبفهما، ولم فذكر لهما صلاحاً.

كرامة الله تعالى لأصحاب الكهف

وهذه كرامة لأولياء الله تعالى، ذكرها الله عز وجل عن أصحاب الكهف، هؤلاء الفتية الذين كانوا من الأولياء الذين فروا إلى الله تعالى، وهجروا ديارهم، وبحثوا عن مكان يستخفون فيه بإيمانهم، وجعلوه سرًا بينهم وبين الله تعالى، فكانت الكرامة من الله تعالى لهم: أن جعلهم آية وعبرة، وجعل قصتهم نموذجًا للنفوس المؤمنة.

ومما أكرمهم الله تعالى به: أن ذكرهم في كتابه الكريم بقوله عز وجل: **(أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيِ الْحَرْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا)**

[الكهف: ٩-١٢].

ففي هذه الآيات المباركات يخبرنا الله تعالى أن قصة هؤلاء الفتية ليست أعجب آيات الله تعالى في الكون، فهناك ما هو أعجب منها وأغرب. وأن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لنلا يفتنوهم عنه، واعتزلوهم وما يعبدون من دون الله تعالى لقد دُفِعوا إلى عبادة الأصنام، وحملوا عليها، وأنذروا، وهددوا بالقتل، فهربوا منهم فلجئوا إلى غار في جبل ليختفوا عن قومهم، فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم: **﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾** [الكهف: ١٠] أي: هب لنا من عندك رحمة، ترحمنا بها، وتسترنا عن قومنا.

﴿وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ١٠] أي: وقدر لنا من أمرنا هذا رشد، أي: اجعل عاقبتنا رشداً، فأجابهم الله تعالى وأكرمهم، وأخفاهم عن أعين الطغاة الظلمة، وكانت تلك كرامة لهؤلاء الأولياء الصالحين.

وكانت كرامة لهم: أن جعل الله تعالى لهم هذا الكهف الضيق المظلم رحمة فقال: **﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ**

مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرِيفَةً

[الكهف: ١٦].

هؤلاء الفتية الذين جمع الله تعالى قلوبهم على الإيمان به وحده ففروا من قومهم الذين اتخذوا آلهة من دون الله تعالى، يذبحون لها. وينذرون لها، ويسجدون لها.

فمن واجب المسلم إذا اشتدت عليه الفتن، أن يفر بدينه كما فر هؤلاء الفتية بدينهم.

لقد دخل هؤلاء الفتية إلى الكهف، وناموا فيه نومًا عميقًا فكان نومهم آية من آيات الله تعالى وكرامة لهم.

لقد تولى الله عز وجل حفظ أجسادهم؛ فجعل الشمس لا تصيبهم، وقلب أجسادهم ذات اليمين وذات الشمال، وجعل أجسادهم تعيش مئات السنين بلا طعام ولا شراب، وجعل منظرهم يبعث على الرعب والخوف والفرار منهم؛ ليكون ذلك أدعى لسلامتهم، ولدفع الشر عنهم، كل ذلك من آيات الله تعالى، وكرامة لهؤلاء الفتية، قال تعالى: **(وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرَضُهُمْ**

**ذَاتَ الشَّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ
اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ
تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مَرشِدًا) [الكهف: ١٧].**

هؤلاء هم أصحاب القلوب المؤمنة: الذين اعتزوا
بإيمانهم، إنهم فتية آمنوا بربهم فزادهم الله تعالى
إيمانًا، وربط على قلوبهم، فكانت الكرامة: أن ناموا في
كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا. ثم أيقظهم الله
تعالى وبعثهم ليروا هذه الكرامة، وليعلم الناس أن وعد
الله تعالى بالحياة الآخرة حق. وأن الساعة آتية لا ريب
فيها.

لقد أراد الله تعالى بقصة هؤلاء الفتية: أن يعرف
الناس أمرهم ويتبين للناس من حالهم أن الله تعالى
يبعث من القبور، وأن الله تعالى يحافظ على أوليائه،
ويدافع عنهم ويجيب دعاءهم، لكن الذين غلبوا على
أمرهم قالوا: **(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ
لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَسْجِدًا) [الكهف: ٢١] والمقصود:**
معبد، على طريقة اليهود والنصارى في اتخاذ المعابد
على مقابر الأنبياء والقديسين، كما يفعل اليوم في

بعض بلاد المسلمين ممن خالفوا هدي الرسول **صلى الله عليه وسلم** حيث قال فيما خرجه أحمد وأبو داود والترمذي عن رسول الله **صلى الله عليه وسلم** ((زورات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج)) وعند البخاري والنسائي عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي **صلى الله عليه وسلم** قال في مرضه الذي مات فيه: " **لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسْجِدًا** (١)"، قالت: **وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَبْرَزُوا قَبْرَهُ**

(١) ولسائل أن يسأل هل اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد؟ والإجابة:

من أهم مزارات اليهود في العراق:

- ١- مرقد النبي ناحوم في القوش- شمال نينوى بمسافة ٣٠ ميلاً.
 - ٢- قبر عزرا أو العزيز ، بين القرنة والعمارة.
 - ٣- مدفن النبي حزقيال أو ذي الكفل ، قرب الحلة . الذي شيده ملك اليهود يهوياكيم .
 - ٤- مرقد يوشع كوهين بجانب الكرخ - بغداد.
 - ٥- مرقد الشيخ اسحق الغاوني ، بجانب الرصافة - بغداد.
- وهناك كتب صنفت في مزارات اليهود في مصر وحدها منها موسى بن ميمون و أبو حصيرة لهما معابد مبنية على ضريحيهما في مصر، وفي العراق وحدها، وفي غيرها من

غَيْرَ أَنِّي أَخْشَى أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا.

ويستفاد من الحديث أن ترك اتخاذ القبور

مساجد وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا قبل

وفاته، فيجب أن نترك ما نهانا عنه، قال تعالى :

(فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ
فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور: ٦٣).

و هذه صورة المذبح الذي بُني على
قبر بطرس كما يزعمون



اتخذ اليهود قبور أنبيائهم
وصالحهم مساجد يتعبدون عندها
و إليها



البلاد، وهو أمر معروف للمبتدئين ثقافة واطلاعًا .
وحال النصارى في هذا أظهر من حال اليهود بكثير. وفي آسيا
الصغرى كنيسة يزعمون أنها مبنية على قبر بولس .
ومما ينبغي أن يتنبه له هنا ، أن اللعن ليس مختصًا فقط بمن اتخذوا
قبور أنبيائهم مساجد، بل يشمل من اتخذوا قبور صالحهم أيضًا ..

كرامة الله تعالى لمؤمن آل فرعون

ها هو رجل آمن بالله عز وجل، ولم يخش إلا الله تعالى؛ فجهر بعقيدته بعدما كان يكتُم إيمانه، وكان سرًّا بينه وبين الله تعالى.

فقال الله تعالى عنه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ (١) [غافر: ٢٨] إلى ﴿وَيَقَوْمٌ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى

(١) لقد ذكر الله تعالى هذا الرجل الصالح في وسط الكفار، وهم يعادون دعوة الله تعالى، وكان هذا الرجل يكتُم إيمانه، ففي هذه الآية دليل على أنه يجوز للمسلم في الوسط الكافر أن يكتُم إيمانه إذا خشي التنكيل أو القتل، حتى يجعل الله له سبيلاً، وهذا يعني أيضاً: أن المكلف إذا نوى الكفر بقلبه كان كافراً، وإن لم يتلفظ بلسانه، وأما إذا نوى الإيمان بقلبه فلا يكون مؤمناً بحال حتى يتلفظ بلسانه، ولا تمنعه التقية والخوف من أن يتلفظ بلسانه فيما بين وبين الله تعالى، إنما تمنعه التقية من أن يسمعه غيره، وليس من شرط الإيمان أن يسمعه الغير في صحته من التكليف، وإنما =

النَّجَاةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونِي لِأَكْفَرِ بِاللَّهِ
وَأَشْرِكُ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ
الْعَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي
الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَانَّ الْمُسْرِفِينَ
هُمُ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْوِضُ
أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿غافر: ٣٨-٤٤﴾،
﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ
الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

فهذا هو الرجل المؤمن الذي جعل إيمانه سرا بينه
وبين الله تعالى؛ خوفاً من الطاغية الظالم، ولما وجد
الفرصة مواتية لإظهار إيمانه، ونصرة الحق أعلن ذلك،
ولم يتهاون، فأكرمه الله تعالى بكرامة الصالحين في
الدنيا والآخرة، فقال تبارك وتعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ
مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: ٤٥] أي: في الدنيا والآخرة، وأما في
الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى عليه الصلاة والسلام،
وأما في الآخرة فبالجنة ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ

يشترط سماع الغير له ليكف عن نفسه وماله.

الْعَذَابِ) [غافر: ٤٥]. وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحاً ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار، ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] أي: أشده ألماً وأعظمه نكالاً، وهكذا تكون الكرامة من الله عز وجل للأولياء الذين استقاموا على أمره.



كرامة الله تعالى لرجل نشر بالمناشير

فهذا نموذج آخر من أولياء الله تعالى الذين استعلوا
بإيمانهم وجهروا بالحق أمام الباطل، فأكرمه الله تعالى
بكرامة عظيمة رآها قبل موته حينما قتل شهيداً في
سبيل الله عز وجل ونقل إلى الجنة.

لقد كان حريصاً أن يتبع أولئك الناس المرسلين،
فيتبعونهم فيما جاءوا به من الحق وينصرونهم ولا
يخذلونهم؛ لأن في ذلك أسباب السعادة لهم في الدنيا
والأخرى.

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ
يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْأَلُكُمْ
أَجْرًا وَهُمْ مَهْتَدُونَ * وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تَرْجِعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ
يُرِدُنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً
وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنْ لِي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنْ لِي
أَمْنٌ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ
يَلَيْتُ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي

**وَجَعَلَنِي مِنَ الْمَكْرَمِينَ * وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ
مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ *
إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ (يس: ٢٠-٢٩).**

فهذا هو المؤمن، قال الله له إذ قتلوه **(ادخل الجنة)**
فلما دخلها، وعان ما أكرمه الله به لإيمانه، وصبره
فيه: **(قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي
رَبِّي﴾ (١) يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من**

(١) قال الطبري - رحمه الله - في تفسيره عن هذا الرجل الصالح:
عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول: كان اسم
صاحب يس حبيبا، وكان الجذام قد أسرع فيه. وقال قتادة أدخله
الله الجنة وهو فيها حي يرزق؛ أراد قوله تعالى: **(وَلَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل
عمران: ١٦٩]** وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب
كظم الغيظ، والطم على أهل الجهل، والترؤف على من أدخل
نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه،
والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء
عليه، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الخوائل وهم
كفرة عبدة أصنام، فلما قتل حبيب غضب الله له وعجل النعمة
على قومه فأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم.



أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيمان بالله وصبري فيه حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة.

فلما عاين من كرامة الله تعالى له قال: ﴿ **يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾ تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله، وما منحه إياه.

فيا ليت الظلمة اليوم يعلمون، ما أعده الله تعالى لأوليائه فيكفوا عن تعذيبهم وإهانتهم، ويعلموا توبتهم لله تعالى مما فعلوه بهم .

وإذا تأمل العبد المسلم هذه الكرامة والحادثة المؤثرة استنبط منها الدروس والعبر، وهي على النحو التالي :

١- الحث على سرعة الاستجابة للحق، متى ما ظهرت علامته، واتضحت دواعيه. ثم الدعوة إليه دون بطء أو تكاسل؛ ونجد في الآيات الكريمة وصفاً لهذا المؤمن الشهيد بالسعي، وهذا كما يقول صاحب تفسير التحرير والتنوير: "يفيد أنه جاء مسرعاً، وأنه بلغه هم أهل القرية

برجم الرسل أو تعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناء على هذا الرجل، يفيد أنه ممن يُقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر".

٢- ومن الدروس والعبر كذلك هنا: أن من أسباب قبول دعوة الداعين إلى الحق عدم طلبهم أجراً دنيوياً أو كسباً مادياً. ولذا قال هذا المؤمن لقومه: **اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ** [يس: ٢٥].

وقد قُدم عدم سؤال الأجر على الاهتداء (لأن القوم كانوا في شك من صدق المرسلين، وكان من دواعي تكذيبهم اتهامهم بأنهم يجرون لأنفسهم نفعاً من ذلك؛ لأن القوم لما غلب عليهم التعلق بحب المال، وصاروا بُعداء عن إدراك المقاصد السامية كانوا يعدّون كل سعي يلوح على امرئ إنما يسعى به إلى نفعه فقُدّم ما يزيل عنهم هذه الاسترابة...).

٣- ومن الدروس والعبر في قصة المؤمن الشهيد، مؤمن آل ياسين: الحث على استخدام أسلوب الإقناع في الجانب الدعوي. فقد كان من ضمن

نصح حبيب لقومه أنه قال لهم :

**وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ
تَرْجِعُونَ [يس: ٢٢].**

حيث أخرج الحجة عليهم في معرض المخاطبة
لنفسه تأليفاً لهم، ونبه على أن عبادة العبد لمن
فطره أمر واجب في العقول، مستهجن تركها،
قبيح الإخلال بها، فإن خلقه لعبده أصل إنعامه
عليه، ونعمه كلها بعدُ تابعة لإيجاده وخلقها، وقد
جبل الله العقول والفطر على شكر المنعم، ومحبة
المحسن، ولا يلتفت إلى ما يقوله نفاة التحسين
والتقبيح في ذلك، فإنه من أفسد الأقوال وأبطلها
في العقول والفطر والشرائع". ونجد في مخاطبة
هذا المؤمن لقومه أنه احتج عليهم بما تقر به
عقولهم وفطرهم من قبح عبادة غيره، وأنها
أقبح شيء في العقل وأنكره، فقال: **أَتَتَّخِذُ مِنْ
دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ
عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُونِ * إِنْني إِذَا
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ [يس: ٢٣]** أفلا تراه كيف لم

يحتجّ عليهم بمجرد الأمر، بل احتجّ عليهم بالعقل الصحيح ومقتضى الفطرة.

٤- الاستمرار في الدعوة إلى الهدى والحق مهما وقف في سبيل منعها الطغاة والمفسدون، ما دام الداعية يعلم أنه لا يدعو إلا إلى الخير والهدى، وما دام يعلم أن في استمرار الدعوة صلاح للناس واستقامتهم، وأن في تركها فسادهم وغفلتهم، فيستمر في ذلك ولو عذب وأهين، بل حتى لو أزهقت نفسه، وقتل، كما هو حال مؤمن آل ياسين، وذلك سبيل الأنبياء والمرسلين، ومن نهج نهجهم من العلماء الربانيين، والدعاة الصادقين إلى يوم الدين.

٥- ومن الدروس والعبر كذلك الحث على تطهير القلب من الحقد والحسد وكل أمر قبيح، رأيت قول هذا المؤمن لما قتله قومه، وأدخل الجنة: **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ**. قال الإمام القرطبي: "وفي هذه الآية تنبيه عظيم، ودلالة على وجوب كظم الغيظ، والحلم على أهل

الجهل، والتروؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه، والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته، والباغين له الغوائل، وهم كفرة عبدة أصنام".

٦- بيان عاقبة كل معاند ومفسد، وكل واقف في وجه الدعوات الربانية الهادية. فإنه لما قُتل حبيب غضب الله له، وعجل النقمة على قومه، فأمر جبريل فصاح بهم صيحة، فماتوا عن آخرهم، قال سبحانه: **وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ** [يس: ٢٧-٢٨] وهذه عاقبة كل محارب لله ولرسوله وللمؤمنين.

انتهى الجزء الأول من كتاب السر ويتبعه

الجزء الثاني

وفيه الكرامات التي أخبر عنها رسول الله

صلى الله عليه وسلم

ما أخبر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن أولياء الله تعالى

وأما ما أخبر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
أولياء الله تعالى وكراماتهم
فهو كثير، أذكر فيما يلي
بعض النماذج منها،
وإلا فالنماذج كثيرًا جدًا...



هذا وأسأل الله عز وجل بأسمائه الحسنی وصفاته العلی أن تكون هذه السطور - بما فيها من عجز وتقصير - سائقة إلى الخيرات وأن ينفعني بها ولكل من قرأها، وأنا سائل أخًا انتفع بشيء من هذه السطور أن يدعو لي ولوالدي ومشايخي وسائر المسلمين أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه راجي عفو ربه المجيب

(أبو أيمن)

أحمد بن محمود بن إبراهيم

الديب

الفهرس

الموضوع

٤	الصفحة المقدمة
١٣	ما هو السر.....
١٢	كلمة السر في القرآن الكريم.....
٢٠	أنواع السر
٢١	أولاً: ما يكون بين المسلم وبين الله تعالى
٢٥	كرامة الله تعالى للأولياء
٢٦	كرامة الله تعالى لمريم عليه السلام
٣١	كرامة الله تعالى لامرأة فرعون
٣٤	كرامة الله تعالى لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها... ..
٣٧	- زواجها برسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٨	- ما نالته من العلم
٤١	- الوحي في فراشها
٤٢	- برأها الله تعالى من فوق سبع سموات
٤٦	- مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدرها
٦٦	كرامة الله تعالى بحفظه لليتيمين
٧١	كرامة الله تعالى لأصحاب الكهف
٧٧	كرامة الله تعالى لمؤمن آل فرعون
٨٠	كرامة الله تعالى لرجل نشر بالمناشير

كتب للمؤلف طبعت

- ١- فتح المجيد ، رسالة في علم التجويد.
- ٢- الرقى الشرعية بالقرآن والأدعية النبوية.
- ٣- إعلام الساجد برسالة المساجد.
- ٤- العلاج القرآني والطبي من الصرع الجني والعضوي.
- ٥- سلسلة الإسلام، منهج حياة - سبعة أجزاء - طبع أربعة.
- ٦- سلسلة المناسبات الإسلامية - العقيدة.
- ٧- دفع البلايا والشُرور بالتحلي بعشرة أمور.
- ٨- الهجرة والمهاجر دروس لكل حائر.
- ٩- تنوير الأفهام بوجوب صلة الأرحام.
- ١٠- الوصية الشرعية.
- ١١- تحصينات الليل والنهار بالأدعية والأذكار.

كتب للمؤلف لم تطبع

- ١- المصحف النبوي المعلم لكل حافظ ومتعلم ومعلم.
- ٢- أحكام الطهارة من النجاسات في الثوب والبدن والمطعومات.
- ٣- علاقة العبد بأسرته، من سلسلة الإسلام منهج حياة.
- ٤- هذه عقيدتنا من سلف أمتنا.
- ٥- الأهداف الشرعية للحياة الزوجية.
- ٦- معركة الحجاب في الرد على منكري غطاء الوجه والنقاب.

هذا الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، فإن السر له دور هام وخطير في حياة الفرد والأمة، وإن الدين الإسلامي عُنِي بما يدور في حياة الفرد والأمة عناية فائقة فأمر بكنم السر، ونهى عن إفشائه، فهو دين عظيم ينير العقول بالحجة الدامغة، ويهذب النفوس بالحكمة البالغة وجعل من صفات المسلم الحق، أنه حافظ للسر، لا يفشي لأحد سرًا انتمنه عليه، لأن يعلم أن إفشاء الأسرار خلق الفجار، وأن من أشر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة من لا يحفظ الأسرار ومن لا تحفظ الأسرار.

وإن إفشاء الأسرار لمن أسوأ العادات التي ابتليت بها كثير من المجتمعات التي انحرفت عن تعاليم الإسلام، ولا ريب أن سوء الأخلاق في عدم حفظ الأسرار ينشأ عن فساد في العقيدة، وعن اتباع للشهوات والشبهات وتأثر بالغ بأفكار وافدة منحرفة.

ولقد قسم العلماء - رحمهم الله تعالى - السر في حياة المسلم، إلى أنواع ، اخترت منها :

- ١- ما يكون بين المسلم وبين الله تعالى بالكرامة والعمل الصالح.
 - ٢- الذي يكون بين المسلم وبين نفسه في الرؤيا المزعجة.
 - ٣- ما يكون بين المسلم وبين أخيه في الله تعالى.
 - ٤- ما يكون بين المسلم وبين أسرته.
 - ٥- ما يكون بين المسلم وبين عمله ودولته، أو سر الدولة المسلمة.
- هذا ما يدور حوله الكتاب ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

أحمد بن محمود إبراهيم الديب

